

التشبيه والاستعارة في شعر سبط ابن التعاويذي (قصاصد المدح نموذجاً)

عمر سعيد محمد سعيد¹ عائشة عبدالقادر محمد توم¹

¹جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا-كلية اللغات - قسم اللغة العربية

المستخلص

تبرز أهمية هذه الدراسة بالنظر إلى ما تحتويه من دراسة لفنين بلاغيين مهمين وهما (التشبيه والاستعارة) وتطبيق ذلك على قصائد المدح في شعر سبط ابن التعاويذي. وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج أهمها: استخدام الشاعر لهذين الفنيين في قصائده المدحية وإفادة الشاعر ممن سبقوه في هذا المجال مع الإضافة والإبداع فيصوره (التشبيه والاستعارة) كما توصي الدراسة الباحثين المحتمسين بالبحث والتنقيب في ديوان هذا الشاعر واستخراج الصور الفنية الأخرى.

Abstract

The significance of this study came from its focus on two essential rhetorical aspects namely metaphor and simile in eulogizing poems in the poetical works of Sebt Ibn Al-Taawezi. A number of results were reached by the study; some of the most important ones were: the poet made use of the knowledge of the former scholars with respect to metaphor and simile in addition to his own creativity and innovation. Accordingly, the study made the following recommendations: it is significant for researches to place emphasis on studying the poems of the above mentioned poet as well as to extract his artistic images.

مقدمة

حظي تراثنا البلاغي بدراسات وافرة ومستفيضة دلت على ثرائه وتنوعه وكان الهدف من ذلك خدمة القرآن الكريم وبيان مواطن إعجازه وتوضيح ما فيه من أسرار ودقائق. وقد تعرض للصورة البيانية كثير من الدارسين قدامى ومحدثين وخاصة التشبيه والاستعارة ، غير أن أهمية هذا البحث تنبع من تطبيق هذه الدراسة في قصائد المدح عند الشاعر سبط ابن التعاويذي ، ولم أعلم أحداً تطرق لهذا الموضوع من قبل . وتهدف هذه الدراسة إلى دراسة التشبيه والاستعارة بإيجاز ثم تطبيق ذلك على قصائد المدح في ديوان الشاعر المذكور . وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المقارن.

مفهوم الصورة: حظيت الصورة باهتمام النقاد والبلاغيين لأهميتها في ميدان الأدب والنقد والبلاغة . جاء في لسان العرب في مادة (صور) المصور : الذي صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة محددة يتميز بها على اختلافها وكثرتها. وتصورت الشيء : توهمت صورته فتصور لي .⁽¹⁾ مما تقدم تتبين لنا الدلالات المتنوعة للفظ صورة في اللغة ، إذ أها تعني الهيئة والشكل المميز للشيء ، وتعني كذلك الصفة التي تميز كل موصوف عن غيره.

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة صور

الصورة في الاصطلاح: تعني ماهية الشيء المجرد وخياله في الذهن والعقل⁽¹⁾ وعرفها أحد النقاد المحدثين بقوله: "هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب، والإيقاع، والحقيقة والمجاز، والتزاد والتضاد، والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني."⁽²⁾

أنواع الصورة: للصورة أنواع ذكرها النقاد كالتشبيه والاستعارة، والكناية والمجاز، غير أن أكثرها وروداً في

الشعر التشبيه والاستعارة، ولكثرة وردها في الشعر قيل: أنواع الشعر ثلاثة: مثل سائر، وتشبيه نادراً، واستعارة قريبة.⁽³⁾

التشبيه: التشبيه والتشبيه والتشبيه: المثل والجمع أشباه، وأشبه الشيء بالشيء: ماثله⁽⁴⁾ وفي الاصطلاح: بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة ملفوظة أو مقدرة⁽⁵⁾

الاستعارة: عرفت الاستعارة بتعريفات كثيرة غير أنها تلتقي في أن أصلها يرجع إلى التشبيه، فقد عرفها الجرجاني بقوله: "هي أن تريد تشبه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيئ إلى اسم المشبه به فتعيه المشبه وتجريه عليه."⁽⁶⁾

وعرفها الخطيب القزويني بقوله: "هي ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وضع له"⁽⁷⁾ وقد قسمها العلماء إلى قسمين: تصريحية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به. ممكنية: وهي ما لم يصرح فيها بلفظ المشبه به

التعريف بالشاعر: هو محمد بن عبيد الله بن عبد الله، وكان اسم أبيه (تشتكين) مولى لبني المظفر، ولما كبر الشاعر وصار له شأن غير اسم أبيه إلى عبيد الله وسمى جده لإبنة عبد الله. وكان مولده ببغداد في العاشر من رجب سنة تسع عشرة وخمسائة هجرية، وكانت نشأته مع جده لأمه محمد المبارك بن المبارك الشهير بابن التعاويذي واشتهر بها.⁽⁸⁾ وفي رحاب بني المظفر كانت نشأة الشاعر، ويبدو أن الشاعر وجد عند موالي أبيه كل حب وتقدير وحسن رعاية فأثر الإقامة بينهم وقضى معظم سني عمره معهم، وأحبهم حباً انعكس على شعره إذ جعل فصلاً كاملاً من ديوانه في مدحهم وذكر مآثرهم. وقد لقب الشاعر برئيس الشعراء، وعمل كاتباً بديوان الإقطاع ببغداد،⁽⁹⁾ وكان ابن التعاويذي حسن الأخلاق فيه فضل وآداب ورياسة وكياسة وأبوة وفتوة.⁽¹⁰⁾

التشبيه والاستعارة عند ابن التعاويذي

(1) قاموس المصطلحات الأدبية واللغوية، أميل يعقوب وآخرون، ص 247

(2) الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقد، الولي محمد، المركز الثقافي العربي، ط 1، د. ت، ص 19

(3) الصورة الفنية، جابر عصفور، ص 217.

(4) لسان العرب، ابن منظور، مادة شبه، ج 8، ص 17-18.

(5) قاموس المصطلحات الأدبية واللغوية، أميل يعقوب وآخرون، ص 122.

(6) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص 58.

(7) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 103.

(8) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج 4، ص 9. ومعجم الأدباء، للحموي، الطبعة الأخيرة، دار المأمون، د. ت، ج 18، ص 235.

(9) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق د. بشير عواد ود. مجتبي هلال سرحان، ط 7، 1990م، مؤسسة الرسالة، ج 11، ص 176-175.

(10) خريدة القصر، العماد الأصفهاني، ج 3، ص 7-8.

أولاً - التشبيه: استخدم سبط بن التعاويذي ضرباً مختلفاً من الصور الفنية، مثل التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها، وجاء التشبيه متنوعاً من تشبيه مفرد ومقلوب ومركب وضمني، كما تنوعت الاستعارة والكناية في مدائحه، وقد اتضح أنّ الشاعر أكثر من استخدام التشبيه إذا قارنا ذلك باستخدامه للاستعارة والكناية، وأنّ هذه التشبيهات جاءت متوالية في البيت أو البيتين وأحياناً في الثلاثة الأبيات معاً، وبالرغم من ملازمة الحسن للكثير منها إلا أنّ إكثار الشاعر منها بصورة واضحة جعلها أقرب إلى الصنعة الفنية، وإن صدق هذا، فالرأي أنّ ابن التعاويذي يتمتّع بقدرة كبيرة على حسن الصنعة وإجادتها. وقد اتخذ الشاعر من الطبيعة وعناصرها مصدراً لكثير من صورته الفنية، وأحياناً أخرى نجده يتخذ من الموروث الشعري العربي أو حضارة عصره مصدراً لصورته الشعرية، وفيما يلي نورد بعض الأمثلة من تلك التشبيهات.

قال الشاعر من المنسرح:

وكالأساريع من بَنانِ يَدٍ بالدم لا بالحناء مَحْضُوبٍ^١

في البيت شُبّهت الأصابع بالأساريع، فمصدر الصورة التاريخ وثقافة الشاعر، وهي تقليدية فتشبيه الأصابع بالأساريع معنى طرقة الشعراء قديماً إذ قال امرؤ القيس:

وتَعْطُو بِرَحْصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظِيٍّ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْجَلٍ^٢

ويبدو أنّ ابن التعاويذي أفاد المعنى خصوصية حين قال: "بالدم لا بالحناء محضوب".

وفي القصيدة ذاتها قال:

أه لِيَبْيَضَاءَ كَالنَّهَارِ بَدَتْ عَرِيْبَةً فِي أَحَمِّ غَرِيْبٍ^٣

وصف المرأة ببياض اللون كثير في الشعر القديم والغالب تشبيهها بالقمر، فمصدر الصورة التاريخ وثقافة الشاعر وهي مفردة تقليدية فيها قدر من الابتكار، حيث استخدم الشاعر خياله لبيّن شدة بياض تلك المرأة فجعل النهار الذي لا يخالط بياضه كدرة مُشَبَّهاً به، وقوله "غريبة" أكّد المعنى فكأنّها ليست من جنس البشر لشدة بياضها.

وبعد جملة أبيات من القصيدة ذاتها قال ابن التعاويذي يصف آل صلاح الدين الأيوبي بالحسن:

وَأَوْجُهُ يَسْجُدُ الْجَمَالَ لَهَا هِيَ الْقَنَادِيلُ فِي الْمَحَارِبِ^٤

١ ديوان ابن التعاويذي ص ١٨.

٢ الإيضاح، الخطيب القزويني، ص ٢٨٤. الأساريع: دود مخرّ الرؤوس بيض الأجساد تشبّه به أصابع النساء. ظي: وادي بتهامة. إسجل: شجر يستاك به. شتن: غير غليظ

٣ ديوان ابن التعاويذي، ص ١٩. الغريب: الشديد السواد. الأحم: الأسود من كل شيء.

ونلمح في البيت توظيف الشاعر للخيال، فإن كان قصده مجرد التشبيه لكفاه التشبيه البليغ في عجز البيت؛ لِمَا فيه من حسن المعنى وتمامه، غير أن إتيانه بالاستعارة في صدر البيت ألبس التشبيه جمالاً وأعطاه بعداً في الوصف لتناسب المعنى في شطري البيت، فالصورة مركبة ومصدرها الخيال.

وابن التعاويذي ولع بتوالي التشبيهات، فقد يأتي بتشبيه في صدر البيت وآخر في عجزه نحو قوله من المنسرح:

بِحَاطِرِ كَالْبُشْبُوبِ مُتَّقِدٍ وَمَقُولِ كَالْحُسَامِ مَدْرُوبٍ¹

صدر البيت فيه تشبيه الحاطر بالشهاب، وعجزه شبه فيه الشاعر لسانه في حدة القول بالسيف، فالصورة مركبة من تشبيهين مفردين والراجح أن مصدرها التاريخ وثقافة الشاعر العربية.

وقد يوالي الشاعر بين الصور البلاغية وينوع فيها ليرسم الصورة التي يريد، نلمح ذلك في قوله من الكامل:

وَنَدَى يَهَشُّ إِلَى الْعُقَاةِ تَكْرُمًا وَمَوَاهِبُ بِالطَّارِقِينَ تُرَجَّبُ

وَصَرَامَةٌ كَالنَّارِ شَابَ ضِرَامَهَا حُلُقُ أَرْقُ مِنَ المَدَامِ وَأَطْيَبُ

تُعْرِيهِ بِالْعَفْوِ الْجَنَاءُ كَأَتَمَّا الْجَانِي إِلَيْهِ بَدَنِيهِ يَتَقَرَّبُ²

رسم ابن التعاويذي صورة حيّة لكرم صلاح الدين الأيوبي، لجمعه بين الاستعارتين في "ندى يهش"، ومواهب ترجب"، وجاء التشبيه في البيت الثاني ليزيد حسن الصورة حسناً حيث وصف الممدوح بالصرامة وحسن الخلق، وفي أسلوب تضاد أحسن الشاعر استخدامه وصَفَهُ بسعة الصدر والتسامح، فكأتمما الجاني يرتكب الذنب قصداً ليتقرب منه، والراجح أن هذه الصورة المركبة من جملة صور، مبتكرة ومصدرها خيال الشاعر لما فيها من حركة كان لحسن اختيار ألفاظ الأبيات دور واضح فيها.

وفي البائية سابقة الذكر أبيات وصف فيها الشاعر الراية فقال:

وَبِرَايَةِ سَوْدَاءَ قَلْبُ الشَّرِكِ مُدُّ عُقِدَتْ لِمُلْكِكَ مُسْتَطَارٌّ مُرْعَبُ

فَكَأَنَّهَا أَسْدَافُ لَيْلٍ مُظْلِمٍ وَسِنَانُ عَامِلِهَا عَلَيَّهَا كَوُكَبُ³

هنا اعتمد الشاعر لصورته تشبيه التمثيل، مشبهاً الراية السوداء يعلوها السنان لامعاً بظلام الليل الدامس يتوسطه كوكب مضيء، فالتشبيه تمثيل، والصورة مركبة منه ومن الاستعارة المكنية في قوله "قلب الشرك"، والراجح أن مصدرها التاريخ والموروث الأدبي للشاعر.

١ ديوان ابن التعاويذي، ص ١٩.

1 ديوان ابن التعاويذي، ص ٢١.

2 المرجع السابق، ص ٢٤.

3 المرجع السابق، ص ٢٦. السداف: ظلام الليل، والسدفة من المعاني الضدية فهي تعني الظلام والضوء.

وقال من الوافر يصور سرعة الخيل:

لَهَا مِنْ كُلِّ مَهْلِكَةٍ نَجَاءٌ وَكُلِّ نُنُوفَةٍ قَدْفٍ إِيَابٌ^١
إِذَا أَوْفَتْ عَلَى أَرْضٍ طَوَّئَهَا عَوَّاشِرُهَا كَمَا يُطَوَّى الْكِتَابُ
كَأَنَّ جَوَائِزَ الْعَايَاتِ مِنْهَا عَلَى أَكْتَفَاهَا ذَهَبٌ مُذَابُ
وَتَصُدُّ عَنْ مَرَّاجِلِهَا سِرَاعًا كَمَا يَنْقُضُ لِلْجَمِّ الشَّهَابُ^٢

صورت الأبيات حركة الخيل كراً وقرأ تصويراً يشع بالحركة والحياة، فالبيت الأول فيه وصف مجمل لقوتها ونشاطها وسرعتها، ثم فصلت الأبيات بعده تلك الصفات، فالبيت الثاني، شبه حركة تداخل أرجلها لسرعتها بطي الكتاب، وأكد الشاعر المعنى بتشبيهه حسن، فكأنها لسرعة طيها للمسافات تلجها ولوجاً، وشبه سرعة عودتها بالشهاب ينقض للرجم، فالصورة مركبة ومصدرها جمع بين الطبيعة وحضارة عصر الشاعر.

والشاعر يميل بصورة واضحة لتوالي التشبيهات، ولعله يريد بذلك توضيح المعنى الذي يريده، يبدو ذلك في وصفه جنود الناصر لدين الله العباسي من الكامل:

يَزْدَادُ إِشْرَاقًا ضِيَاءٌ وَجُوهِهِمْ وَالْجَوُّ بِالْهَبَّاتِ أَرْبَدٌ أَقْتَمُ
فَهُمْ إِذَا حَسَرُوا ظَبَاءَ حَمِيلَةٍ وَهُمْ أُسُودٌ شَرَى إِذَا مَا اسْتَلَّامُوا
رَكَبُوا الدِّيَاجِي وَالسُّرُوجَ أَهْلَةً وَهُمْ بُدُورٌ وَالْأَسِنَّةُ أَنْجُمُ
فَكَأَنَّ إِيْمَاضَ السُّيُوفِ بَوَارِقُ وَعَجَّاجَ حَيْلِهِمْ سَحَابٌ مُظْلِمُ^١

في البيت الأول وصف الشاعر الجنود بالحسن، وأكد ذلك التشبيه البليغ في صدر البيت الثاني، ووصفهم بالشجاعة باستخدام التشبيه البليغ في عجزه، ثم جمع الشاعر بين الاستعارة في "ركبو الدياجي" وثلاثة من التشبيهات البليغة هي "السروج أهلة: و"هم بدور" و"الأسنة أنجم" ثم جاء الشاعر بتشبيه التمثيل في البيت الأخير ليكمل الصورة، فمصدر الصورة المركبة من عدة صور هو التاريخ وثقافة الشاعر الشعرية، إلا أن أثرًا للخيال فيها نلمحه في قدرة الشاعر على تقارب وجه الشبه في الصورة الكلية والمتمثل في وجود أشياء صغيرة لامعة وسط ظلام أو سواد، فهي إذن تقليدية أضاف إليها خيال الشاعر قدرًا من الوضوح.

وقال ابن التعاويذي يبيّن وقت زيارة المحبوبة من الكامل:

١ التئوفة: الصحراء الواسعة. القذف: البعيد. العواشر والأعشار: قوادم ريش الطائر، ولعل الشاعر استخدمها هنا مجازاً. أصدرته فصدر، رَجَعْتُهُ فَرَجَع، والصدر نقبض الورد. مجزئ الطريق وجاز الموضع، جوزاً وجوازاً ومجازاً، وراز به وجاوزه جوزاً، سار فيه وسلكه، وأجزته، خلّفته وقطعته.

1ديوان ابن التعاويذي، ص ٣٥-٣٦

2ديوان ابن التعاويذي، ص.٣٧٢

طَرَقَتْ وَدُونَ طُرُوقِهَا مِنْ قَوْمِهَا الْأُسْدُ الْغَضَابُ

وَاللَّيْلُ فِي أَدْيَالِهِ شَفَقٌ كَمَا دُبِحَ الْغُرَابُ¹²

هنا أراد الشاعر أن يبيّن مخاطرة لقاء المحبوبة فجاء بالتشبيه البليغ في " من قومها الأسد" وبين وقت زيارتها مستخدماً تشبيه التمثيل في البيت الثاني، فشبهه آخر الليل و قد امتزج به شفق الصباح بالغراب المذبوح، فالصورة مركبة ومصدرها الطبيعة. ثم قال يصف حسنها:

وَبَدَا لَنَا مَا كَانَ يَسْتُرُ مِنْ مَحَاسِنِهَا التَّقَابُ

فَكَأَنَّهَا قَمَرٌ تَفَرَّقَ عَنِ مَطَالِعِ السَّحَابِ³

تبدو المحبوبة حين نزعت غطاء وجهها كالقمر تفرّق عن السحاب، فالتشبيه تمثيل، والصورة مفردة ومصدرها الطبيعة. وابن التعاويذي يعتمد في مصدر صورته على الطبيعة وعناصرها في أغلب الأحيان كما اتضح من الأمثلة السابقة، وكما يبدو في قوله من الكامل يصف الخيل وبعض أدوات المعركة:

وَصَوَارِمٌ أَبْقَى الْقِرَا غُ بِهَا فُلُولًا وَالصَّرَابُ

فِي غَمْدِهَا وَشَكِيمِهَا مِنْهَا الْجَدَاوِلُ وَالْهَضَابُ

وَعَوَاسِلٌ لُدُنٌ إِذَا اشْتَجَرَ الْكُمَاةُ بِهَا صِلَابُ

حَيَّاتٌ وَادٍ فِي نُحُو رِ الدَّارِعِينَ لَهَا انْسِيَابُ¹

جمع الشاعر جملة تشبيهات ليبيّن صورة تلك الأدوات، ففي البيت الثاني شبه السيوف ببيضاء مستطيلة بجداول الماء، وشبه الخيل التي دلّ عليها قوله "شكيمها" في علوّها بالهضاب، وفي البيت الأخير شبه الرماح في لدونها و سرعة حركتها وسهولة ولوجه في لابسها الدرّوع بحيات الوادي، فتوالي التشبيهات بين حال هذه الأدوات قبل المعركة وبعدها، فالصورة مركبة ومصدرها الطبيعة والثقافة.

ومن وصف الشاعر لأدوات المعركة قوله من الطويل:

يُعِدُّ لِإِرْهَابِ الْعِدَى كُلِّ لَيْلٍ الْهَمْزَةُ لَدُنِ الْمُزْنِ مُعْتَدِلِ الْقَدِّ

³المرجع السابق، ص. ١٥٤.

³المرجع السابق، ص. ٣٥.

¹ديوان ابن التعاويذي، ص ٥٦. الأسل: نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق، وأطرافه محددة، وواحدته أسلة، وتشبهه به الرماح في اعتداله وطوله واستوائه ودقّة أطرافه، وتُسمّى الرماح أسلاً.

وَذِي شُطْبٍ كَالْمَاءِ يَجْرِي صِقَالُهُ وَسَابِجَةٍ شَطْبَاءَ كَالْحَجَرِ الصَّلْدِ²

عدد الشاعر أدوات المعركة من خيل رمح وسيف، فشبهه السيف ذي الشطب في لمعانه وبياضه بالماء الجاري، والفرس في سرعتها واستواء جسمها بالحجر الصلد، فالتشبيهين في البيت تمثيل، فالصورة إذن مركبة ومصدرها الطبيعة. وقريب من قول ابن التعاويذي السابق في المعنى قوله من المنسرح:

يُعِدُّ لِلرَّوْعِ كُلِّ سَابِجَةٍ لَاحِقَةٍ مَا لَجَرِيهَا أَمْدُ

كَأَنَّ مَا لَانَ مِنْ مَعَاظِفِهَا فِي الْكَرِّ نَبَتْ مِنْ خِرُوعِ حَصْدِ¹

وَكُلُّ لَدْنٍ كَتَأْتَهُ شَطْنٌ يَكَاذُ يُنْتَنَى لِينًا وَيَنْعَقِدُ

وَكُلُّ عَضْبٍ كَأَنَّ رُوْنَقَهُ جَدُولُ مَاءٍ فِي الْغَمْدِ مُتَطَرِّدُ²

البيت الثاني أكد سرعة الفرس في البيت قبله، فكأن حركة وسطها انقباضاً وانبساطاً نبات الخروع لدونة، ثم شبه الشاعر الرمح في لدونته وقوته بالحبل، وفي البيت الثالث شبه السيف أبيض مستطيل لامع بجدول الماء، فمؤالاة الشاعر بين هذه التشبيهات التي يمكن أن يستقل كل منها لحسنه، هذا التوالي أفاد الصورة الكلية حيوية وجعلها نابضة حيّة، ونلمح عمل الخيال في قدرة الشاعر على إبقاء العلاقة بين المشبه والمشبه به في جميع التشبيهات اللبونة وسهولة الحركة.

فالصورة التي رسمها الشاعر للخيل، وغيرها من الصور نجد أنّ قيمتها - كما أشار جابر عصفور - تكمن في قدرتها على لفت الانتباه للمعنى الذي تعرضه وفي طريقتها التي تجعلنا نتفاعل معه ونتأثر به والمتمثلة في جمع وتوالي تشبيهاتها³.

ومما جعل الشاعر الطبيعة مصدراً له، ما وصف به الناصر لدين الله العباسي فقال من الكامل:

مَلِكٌ تَذِلُّ الْأُسْدَ فِي عَابَاتِهَا وَالْبَيْضُ فِي أَعْمَادِهَا سَطَوَاتُهَا

أَلَيْتَ صَوَاهِلُهُ الْقَنَا فَكَاثِمًا نَبَتْ عَلَى أَعْرَافِهَا أَسْلَاتُهَا¹

نلمح في البيت الأول غلواً في وصف شجاعة الممدوح، ولعلّ الشاعر نظر في معناه إلى قول أبي نواس:

وَأَحْفَتِ أَهْلَ الشَّرِّكَ حَتَّى أَنَّهُ لَتَحَافَكَ التُّطْفُ الْيِّ لَمْ تُخْلَقِ²

² الشطب من الرجال والخيل: الطويل الحسن الخلق، وفرس شطبة، سبطة اللحم، وسيف مشطب، فيه طرائق مرتفعو أو منحدره. ديوان ابن التعاويذي، ص ١٤٩.

¹ الخضد: ما لم يئن كسره في الرطب واليابس، أي الانتشاء من غير كسر. الشطن: الحبل، وقيل الطويل الشديد القتل. العضب: السيف القاطع.

² ديوان ابن التعاويذي، ص ١٥٤.

³ الصورة الفنية، جابر عصفور، ص ٣٦٣.

¹ ديوان ابن التعاويذي، ص ٦٥.

² نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص ٦٠٠.

وفي البيت الثاني تشبيه جميل ومعنى لطيف، حيث شُبِّهت ملازمة الرماح لأعراف الخيل بالمنبت الطبيعي لنبات الأسل.

وقال يصف قصائده من الكامل:

حُدِّهَا إِلَيْكَ عَقَائِلًا مِثْلَ الْعَدَارَى الْبَيْضِ نُهْدٌ

كالماءِ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ قُوَّةِ الْأَلْفَاظِ جَلَمَدٌ³

هنا شبه الشاعر قصائده في الحسن وجدة الألفاظ بالعداري في البيت الأول، وفي البيت الثاني شبهها بالماء رقة وعضوية وبالجلمد قوة، ويكمن جمال التشبيه في جمع الشاعر بين المعاني المتضادة، فالصورة مركبة من ثلاثة تشبيهات، ومصدرها في التشبيه الأول التراث الشعري للشاعر، وفي البيت الأخير مصدرها عناصر الطبيعة من ماء وحجارة.

وعلى الطبيعة استند الشاعر حين شبه الجوزاء باللالى وذلك قوله من الخفيف:

وَكأنَّ الْجُوزَاءَ فِي أَفْقِ الْعَرَبِ لآلٍ تَنَاطَرَتْ بَعْدَ عَقْدٍ¹

فالتشبيه في البيت تمثيل، فكأن نجوم الجوزاء وقد تباعدت في السماء الزرقاء حبيبات عقد انقطع خيطه، فوجه الشبه وجود أجسام صغيرة بيضاء وسط شيء أزرق.

وقال الشاعر من الطويل يصف البرق:

حَرَامٌ عَلَيَّ الْأَجْفَانُ أَنْ تَرِدَ الْعُمْضَا وَقَدْ آتَسْتُ مِنْ جَوِّ كَاطِمَةٍ وَمُضَا

بَدَا كَالصَّفِيحِ الْهِنْدُوَانِيِّ لَمَعُهُ وَعَادَ كَلِيلاً لَا تَجُسُّ لَهُ نَبْضًا¹

يبدو أثر خيال الشاعر في دقة تصوير حركة البرق وتدرجها من القوة إلى الضعف، حيث شُبِّه شدة لمعان البرق في بدايته بقوة لمعان السيف في جدته، وشبه تدرج انتقاله من القوة إلى الضعف الشديد، بحال نبض المريض الذي يصعب جس نبضه لشدة هلاكه، فالتشبيه تمثيل ومصدر الصورة الطبيعة مع الخيال.

ومن تشبيه التمثيل قول الشاعر من البسيط:

كَأَنَّ عُرْتَهُ وَالْحَطْبُ مُعْتَكِرٌ بِشَائِرِ الصُّبْحِ جَلًّا نُورُهَا السُّدْقَا²

³الرجع السابق، ص ١٢٧.

¹الرجع السابق، ص ١٣٣.

¹ديوان ابن التعاويذي، ص ٢٥١.

²المصدر السابق، ص ٢٩٣.

في البيت وصف للممدوح بالحسن، حيث شُبه وجهه الأبيض وسط غبار المعركة، ببياض ضوء الصباح يشق آخر ظلام الليل، إذن التشبيه تمثيل ومصدره الطبيعة.

وقال من الوافر يصف أحد مظاهر حضارة عصره:

سَوَاجِعُ يَنْتَظِمْنَ مُعَرِّدَاتٍ حِقَافِيهَا كَمَا انْتَضَمَ السَّحَابُ

كَأَنَّ أَعْيَالِي الشُّرَفَاتِ مِنْهَا عُصُورٌ أَرَاكِي حُضِرَ رَطَابُ³

البيتين في وصف حجرة حمام تغرد حوله مجموعة من الحمام، وفيهما جمع الشاعر بين تشبيهي التمثيل، الأول تشبيه الحمام يغرد منتظماً حول الحمام بالسحاب المنتظم والثاني، تشبيه شرفات الحمام مترامية وقد ضرب لوغها للسواد بغصون الأراكاة العظيمة، فالصورة مركبة ومصدرها في التشبيهين الطبيعة.

وابن التعاويذي في بعض الأحيان يجعل من حضارة العصر مصدراً للصورة الفنية، يبدو ذلك في قوله من الوافر:

فَدُونُكَ مُحْصَنَاتٌ مِنْ نَنَائِي نَوَاهِدَ لَمْ تُزَنَّ وَلَا تُعَابُ

ثَنَاءٍ مِثْلِ أَنْفَاسِ الْخِزَامِيِّ أَرَبْتُ عَلَى حَوَاشِيهِ الرِّيَابُ¹

تشبيه القصائد في البيت الأول بالنواهد تشبيه جرت به العادة، وحين كثرت النباتات العطرة، شبه الشاعر أثر قصائده وحسنها بطيب نبات الخزامى، وعجز البيت الثاني فيه حُسن وزيادة في المعنى؛ إذ أنّ قطرات الماء تزيد من انبعاث رائحة العطر، فالصورة مركبة من تشبيه بليغ في البيت الأول وتشبيه تمثيل في الثاني ومصدر الصورة التراث الشعري العربي.

وقال ابن التعاويذي في حائية له من الطويل يصف الحجاج:

وَبِالْوَفْدِ مِيلاً فِي الرِّحَالِ كَأَنَّمَا سَفَاهُمْ سُلَافَ الرِّيحِ سَاقِي مُصْبِحُ

يَمِيلُونَ مِنْ طُولِ الشَّرَى فَكَأَنَّمَا عَلَى كَلِّ كُورٍ بَانَةٌ تَتَرَنَّخُ²

في البيت الأول شبه ابن التعاويذي حركة الحجاج على ظهور الإبل يصاحبها قليل من النشاط بحركة شارب الخمر، وفي البيت الثاني شبههم وقد ثقلت حركتهم لما أصابهم من تعب، بحركة تمايل شجرة بانٍ تحملها ناقة عظيمة، ويبدو أثر الخيال في جمع الشاعر بين تشبيهي التمثيل؛ لتعبّر الصورة تعبيراً موحياً عن إعياء الحجاج، فالصورة مركبة ومصدرها في التشبيه الأول حضارة عصر الشاعر، وفي الثاني الطبيعة.

³الرجع السابق، ص ٣٦.

¹ديوان ابن التعاويذي، ص ٣٨. الخزامى: نبت طيب الرائحة، وواحد تخزامة، وقيل عُشبة طويلة العيدان صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الرائحة. الرياب: السحاب وقد يكون أيضاً أو أسوداً، وقيل المتراكب منه، وقيل المتعلق كأنه دون السحاب، وواحدته، ربابة. أرب: غدى.

²المرجع السابق، ص ٨١

وقال في وصف ممدوح له من الكامل:

نَسَخَ الكِرَامَ بِجُودِهِ كَاللَّيْلِ يُنْسَخُ بِالصَّبَاحِ

حُلُقٌ كَمَا مُرِجَتْ سُلَافُ الحَمْرِ بِالمَاءِ القَرَّاحِ¹

شبه الشاعر تغطية عطاء الممدوح على عطاء غيره، بتغطية الصباح الليل، وفي البيت الثاني شبه حسن أخلاقه بالخمير الخالص مزجت بماء عذب، فالصورة مركبة ومصدرها الطبيعة وحضارة عصر الشاعر.

ومما تبدو فيه أثر حضارة العصر، وصف الشاعر لقصائده من المتقارب إذ يقول:

قَوَافٍ كَأَيِّ عَلَى السَّامِعِينَ أُدِيرُ بِحِنَّةٍ شَمُولًا عَقَارًا

تَصَوَّعَ مَسْكَأَنَّ الثَّنَاءَ شَبَّ بِهَا مَنَدَلِيًّا وَعَارًا

وَتَفْتَرُّ عَنْ شَيْمٍ كَالرِّيَاضِ ضَا حَكَ نَوَازِهَا الجُلُنَارًا²

شبهت النشوة التي تثيرها القصائد في تدرجها بنشوة الخمر، وطبيعتها وحسنها بطيب المنديل والغار، وشبهت ما تضمنته من جميل الصفات، برياض تفتحت أزهارها بألوانها المختلفة، وقد والى الشاعر هذه تشبيهات ليبيّن كمال حسن قصائده، واتخذ من حضارة عصره مصدراً لها حيث كثرت النباتات والحدائق والعمور والخمر.

وقال من الكامل يصف أعداء الممدوح:

مِنْ مَعْشَرٍ سَفَرُوا لِطَالِبٍ رِفْدِهِمْ وَجْهًا عَلَيْهِ مِنَ الكَابَةِ بَرْفُوعٍ¹

وَجْهًا أَرِيقَ حَيَاؤُهُ فَكَأَنَّهُ شَيْءٌ إِذَا اسْتَحْدَمْتَهُ يَتَفَقَّعُ²

التشبيه صورة ناطقة عن عصر الشاعر حيث كثر البخل وقلّ العطاء، فهذا الوجه لشدة سواده وتجاعيده وجفافه، يشبه قربة الجلد الخلقية، فالتشبيه تمثيل ومصدره الطبيعة.

وفي بعض الأحيان نجد الشاعر يتخذ من ثقافته الإسلامية مصدراً للتشبيه، ومن الأمثلة على ذلك قوله من المنسرح:

والشَّعْرُ كَالسَّيْلِ مِنْهُ مَا يَنْقَعُ النَّاسَ وَمِنْهُ العُنَاءُ والرَّيْدُ³

¹ ديوان ابن التعاويذي، ص ٩٠.

² المرجع السابق، ص ١٧٩. الشمول: الخمر، لأنها تشمل برمجها الناس. المنديل: عود رطب طيب الرائحة. الغار: نبت أبيض الزهر طيب الرائحة. تفتّر: فتر، فرغ وكفّ وتحير، وتفترت الأرض بالعيون: تبجست.

¹ سفرت الريح الغيم عن السماء: فزقته وكشطته. الشن: الخلق من كل آتية صنعت من الجلد وقيل القربة، والجمع شنان.

² ديوان ابن التعاويذي، ص ٢٦٠.

واضح اعتماد الشاعر في المعنى على الآية (فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)⁴

ونحنم التشبيه بقول الشاعر من الكامل يصف أحد مواليه من بني المظفر:

وَحَلَلْتَ زُرَّاءَ الْعِرَاقِ كَمَا حَلَّ الْعَمَامُ بِمَاجِلِ الْفُقْرِ

فَكَأَنَّ طَلَعَتَكَ الْهَيْلَالَ تَرَاءَتْهُ النَّوَاطِرُ لَيْلَةَ الْفِطْرِ¹

شَبَّهَ الشاعر تَعَيَّرَ حال أهل بغداد بسبب نعم الممدوح، بحال أرض جدباء نزل عليها المطر، والبيت الأخير شَبَّهَ الممدوح والأنظار تتوق لرؤيته برؤية الهلال ليلة الفطر، رَكَّبَ الشاعر صورته من عدد من التشبيهات ليجعلها موحية ومعبرة عما آل إليه حال بغداد بقدوم الممدوح، فمصدر الصورة في البيتين الأولين الطبيعة وفي البيت الأخير الموروث الثقافي الإسلامي للشاعر.

إذن من خلال الأمثلة التي قُدِّمت عن التشبيه، وضح إكثار ابن التعاويذي من استخدام تشبيه التمثيل، وقلَّ عنده التشبيه الضمني والتشبيه المقلوب جداً، فمن التشبيه الضمني ما مدح به بني المظفر من الطويل:

فَإِنْ اعْتَرَفَ ذَنْباً بِمَدْحِ سِوَاهُمْ فَإِنَّ جِمَاصَ الطَّيْرِ يَفْنِصُهَا الْحَبُّ¹

والغالب أنَّ الشاعر نظر في معنى بيته السابق قول مسلم بن الوليد من ****

فَإِنْ أَعَشَى قَوْمًا بَعْدَهُمْ أَوْ أَزَوْرَهُمْ فَكَالْوَحْشِ يَسْتَدْنِيهِ لِلْقَنْصِ الْحَلُّ²

ومن التشبيه المقلوب قوله من الطويل يصف المستضيء بالله العباسي:

وَمَا لِضِيَاءِ الْبَدْرِ إِشْرَاقٌ وَجْهِهِ وَأَنْتَ وَمِنْ إِشْرَاقِهِ خُلِقَ الْبَدْرُ³

وقوله في ذات الرائية:

كَأَنَّ بَيَاضَ الصُّبْحِ يَبْضُكُ جُرْدَتِ هُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ عَسْكَرُكَ الْمَجْرُ⁴

ثانياً- الاستعارة: الاستعارة واحدة من الصور التي اعتمد عليها الشعراء لنقل المعنى وتوضيحه، وابن التعاويذي كغيره من الشعراء استخدم الاستعارة بأنواعها المختلفة، والدراسة لا تهتم بتعداد تلك الأضرب بل تنظر إلى قدرتها على تقريب المعنى وأثرها في النفس، والذي لمسناه أنَّ الشاعر لم يكثر من الاستعارة إكثاره من التشبيه، واعتمد في مصادرها على التاريخ والثقافة حيناً

³المصدر السابق، ص ١٥٥.

⁴سورة الرعد، آية ١٧.

¹المرجع السابق، ص ١٨٦.

¹ديوان ابن التعاويذي، ص ٣٤.

²ديوان مسلم بن الوليد ****

³ديوان ابن التعاويذي، ص ١٧٤.

⁴المصدر السابق، ص ١٧٥.

وعلى الطبيعة حيناً آخر، وكثيراً ما يأتي بما متواليه أو يجمع بينها وبين الصور الأخرى من تشبيه أو كناية لينقل المعنى الذي يريده، وقد كادت تنحصر المعاني المستخدمة في الاستعارة في وصف الممدوح ومعاناة الشاعر وهمومه في الحياة، وفيما يلي نورد بعض الأمثلة من الاستعارة كما جاءت في قصائد الشاعر المادحة.

قال سبط بن التعاويذي من الكامل:

بَكَتِ الْعِشَارُ فَصَالِحَاتُهَا وَتَبَسَّمَتْ لِقُدُومِهِ الْأَسْيَافُ فِي الْأَعْمَادِ¹

في البيت أسلوب جميل لوصف كرم الممدوح وشجاعته؛ لجمع الشاعر بين الاستعارتين "بكت العشار" و"تبسمت الأسياف" من خلال الجمع بين النقيضين "التبسم والبكاء"، فالصورة مركبة ولعلها مبتكرة ومصدرها الطبيعة.

وقال من الطويل يصف المستضيء بالله العباسي:

إِمَامٌ هُدَى عَمَّتْ سِيَّاسَةُ عَدْلِهِ فَأَوَّلُ مَقْتُولٍ بِأَسْيَافِهِ الْفَقْرُ²

هنا تكشف الاستعارة في عجز البيت عن ظاهرة الفقر التي سادت عصر الشاعر، فتشبيه الفقر بما يُقتل إنساناً أو حيواناً، تشبيه مطروق لدى الشعراء، فالاستعارة تقليدية ومصدرها الثقافة والتاريخ.

وفي البائية التي مدح بها صلاح الدين الأيوبي من الكامل جاءت الاستعارة في قوله:

دَلَّلَتْ أَخْلَاقَ الزَّمَانِ لِأَهْلِهِ فَأَطَاعَ وَهُوَ الْخَالِعُ الْمَتَعَصِّبُ³

ففي البيت استعارة مكنية، حيث شُبه الزمان بإنسان وحُذف المشبّه به وجيء بشيء من لوازمه، فالصورة مفردة، واعتمد الشاعر في مصدرها على تاريخه وثقافته الشعرية؛ لأنّ تشبيه الزمان بإنسان معنى سبق الشاعر إليه.

ومن الاستعارة قول الشاعر يصف آل المظفر من الكامل:

رَاضُوا الْأُمُورَ فَأَصْبَحَتْ مُنْقَادَةً لَهُمْ وَكَانَتْ تُنْكَسَأُ لَا تُتَّبَعُ¹

في البيت شُبه الشاعر الأمور بدابة تروّض، فالاستعارة مكنية وهي تعبر أيضاً عن اضطراب الأمور في عهده، فالصورة مفردة واتخذ الشاعر من تاريخه وثقافته الشعرية مصدراً لها.

وبعد بيت واحد من البيت السابق قال:

¹ديوان ابن التعاويذي، ص ١٣١

²المرجع السابق، ص ١٧٣

³المرجع السابق، ص ٢٤٠

¹ديوان ابن التعاويذي، ص ٢٦٧

وَاسْتَحْدَمُوا الْأَيَّامَ وَاقْتَعَدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا وَالذَّهْرُ طِفْلٌ يَرُضَعُ²

والراجح أنّ الاستعارة في قوله "واقتعدها على صهواتها" جاءت لتؤكد معنى الاستعارة قبلها، ومجىء التشبيه البليغ في "الدهر طفل يرضع" أفاد المعنى قوة حيث أكد التشبيه عراقية وتمكّن آل الممدوح، فالصورة مركبة وأثر خيال الشاعر يبدو في جمعه بين الصورتين الأمر الذي كسا المعنى قوة ووضوحاً.

ويقرب من معنى الشاعر السابق ما وصف به الناصر لدين الله العباسي من الكامل:

أَلْقَى الزَّمَانُ إِلَيْكُمْ بَعَنَانِهِ فَعَدَّتْ مُدَلَّلَةً لَكُمْ صَهَوَاتِهِ

وَمَلَكْتُمُوهُ فَأَصْبَحَتْ مَوْسُومَةً بِجَمِيلِ آثَارِ لَكُمْ جِبَهَاتِهِ

في صدر البيت الأول استعارة، حين شبه الشاعر الزمان بفرس على سبيل الاستعارة المكنية، وليؤكد المعنى جاء بالاستعارة في البيت الثاني، حيث الزمان مُملَكٌ وآثار الممدوح بيّنة على جبهاته، فالصورة مركبة ومصدرها تراث وثقافة الشاعر.

وقال من الطويل:

وَرَدَّ لِحَاظَ الدَّهْرِ عَنْهَا كَلِيلَةً وَكَانَتْ لَهَا أَحْدَانُهُ بِالْمَرَاصِيدِ³

الضمير في عنها يعود إلى بغداد، وجاءت الاستعارة في "لحاظ الدهر"، وتشبيه الدهر بإنسان معنى أخذه الشاعر من سابقه، فالصورة مفردة ومصدرها التاريخ وثقافة الشاعر، غير أننا نلمح قدراً من الخيال إذ لم يكتف الشاعر بأن جعل للدهر لحاظاً، بل جعلها كليلة وجاء في المقابل المرصيد ليحفظ التناسب بين الضعف والقوة، مما أضفى على المعنى قدراً من الحسن.

وقد تأتي الاستعارة لتبيّن قدراً من معاناة الشاعر، ومن ذلك قوله من الوافر:

إِلَى كَمْ تَمَضُّعُ الْأَيَّامِ لَحْمِي وَيَعْرِفُنِي لَهَا ظَفْرٌ وَنَابٌ

تُقَارِعُنِي حُطُوبٌ صَادِقَاتٌ وَتُخَدَعُنِي مَوَاعِيدُ كِذَابٍ¹

وليبين الشاعر معاناته جمع عدداً من الاستعارات، الأولى في "تمضع الأيام" وجاءت الاستعارتان في البيت الثاني في "تقارعني" و"وتخدعني مواعيد" فالصورة مركبة اعتمد الشاعر في مصدرها على التاريخ والثقافة، ولعل أسلوب التضاد في البيت الأخير ألبس المعنى حسناً وجمالاً.

ويؤكد ابن التعاويذي معاناته وسخطه على الأيام مستخدماً الاستعارة في قوله من الكامل:

² المرجع السابق، ص ٢٦٧

³ المرجع السابق، ص ١٠٧٠

¹ ديوان ابن التعاويذي، ص ٣٧٠

وَعَنَيْتُ أَنْ أُمْسِي وَأَمَلِي بِأَبْوَابِ اللَّيَامِ مُدْفَعًا وَمُرَدَّدًا

مِنْ بَعْدِ مَا عَرَقَ الزَّمَانُ بِنَابِهِ عَظْمِي وَأَرْهَفَتِ الْخُطُوبُ لِي الْمَدَى²

جمع الشاعر بين الاستعارتين " عرق الزمان بنابه عظمي " و " وأرهفت الخطوب لي المدى "، فالصورة مركبة وإن كان فيها شيء من التقليد، فهي لا تخلو من الخيال، حيث أرجع الشاعر عرق العظام للزمان لقوته، وأرجع ما بعد العظم ضعفاً للخطوب التي هي أيدٍ للزمان، وفي الصورة تعبير عن أسى الشاعر وحزنه.

وقال الشاعر من الطويل:

وَمَا ضِي صَبَاً فَضَيْتُ مِنْهُ لَبَانِي خِلَاساً وَعَيْنُ الدَّهْرِ زَرْقَاءُ تَلْمَحُ¹

من الاستعارة أن جعل الشاعر للدهر عيناً، ومصدر الصورة فيها ثقافة الشاعر فكثيراً ما شبه الشعراء الدهر بإنسان وهي أقرب إلى التقليد وهي لا تخلو من الخيال نلمحه في اختيار الشاعر للألفاظ التي حفظت التناسب بين قوة النظر في قوله " زرقاء " وضعفه في قوله " اختلاسا ". وحين انصرفت مصائب الدهر عن الشاعر وبسم له الحظ قال من الطويل:

وَأَسْفَرَ وَجْهَهُ الْحَظُّ جَذْلَانَ بِاسْمًا وَعَهْدِي بِهِ وَهُوَ الْعَبُوسُ الْمَكْلُحُ²

في قول الشاعر " جذلان باسمًا " وقوله " العبوس المكليح " استعارتين، شبه الحظ في الأولى بإنسان باسم وفي الثانية به وهو عباساً، فالصورة تقليدية مركبة ومصدرها ثقافة الشاعر والتاريخ، إلا أنّ عمل الخيال في أسلوب التضاد الذي الجمع بين الاستعارتين كساهما جمالاً وحسنًا.

ومن الاستعارة قوله من الكامل:

وَلَقَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ شَطْرِيهِ وَقَلَّبْتُ الرِّجَالَ بِهِ تَنَاءً وَمَوْحَدًا

وَبَلَوْتَهُمْ طَرًّا فَلَمْ تَظْفِرْ يَدِي بِمُحَمَّدٍ حَتَّى لَقِيتُ مُجْدًا³

يكثر الشاعر من استخدام لفظة " الدهر " في الاستعارة، وقد شبهه فيما تقدّم من أمثلة مرّة بإنسان ومرّة بحيوان متوحش وهنا يشبهه بحيوان حلوب، على سبيل الاستعارة المكنية فالصورة تقليدية اعتمد الشاعر فيها على تاريخه وثقافته الشعرية، حيث نجد تقارب بين معنى ابن التعاويذي سالف الذكر وقول الرضي من البسيط:

أَتَيْتُ تَحْتَلِبُ الأَيَّامَ أَشْطَرَهَا فَكُلُّ حَادِثَةٍ مَنزُوحَةٌ الْحَلْبِ⁴

² المرجع السابق، ص ١٢٣. الغراق: العظم من غير لحم. والغرق: العظم إذا أخذ منه معظم اللحم وبقي عليه قليل منه، تعرّفته وعرقته، إذا أخذت اللحم عنه بأسنانك نمشاً

¹ ديوان ابن التعاويذي، ص ٧٩٠

² المرجع السابق، ص ٨٠. المكليح: الكلوخ هو التكشير مع عبوس.

³ المرجع السابق، ص ١٢٠

وإن لم يتخذ ابن التعاويذي من التاريخ وثقافته الشعرية مصدراً للاستعارة فأثَّه يجعل من الطبيعة مصدراً لها، ومن الامثلة على ذلك قوله من الكامل:

نَادَمْتُهُ وَالْبَدْرُ مُحْتَجِبٌ وَطَرَفُ النَّجْمِ أَرْمَدٌ¹

قوله " طرف النجم أرمداً" فيه استعارة مصدرها أحد عناصر الطبيعة وهو النجم، وهي تقليدية لا تخلو من ابتكار نلمحه في تناسب المعنى وحسن تخبُّر اللفظ، فلما كان البدر أكثر ضوءاً جعله الشاعر محتجباً، ولحفظ التناسب بين مصدري الضوء جعل النجم الأقلّ ضوءاً أرمداً، وكل ذلك ليبين حرصه على ستر المحبوبة.

ومن الاستعارة التي اتخذت من الطبيعة مصدراً قول الشاعر من البسيط:

وَالْغَيْمُ بَاكِ وَتَعْرُ التَّوْرِ مُبْتَسِمٌ وَطَائِرُ الْبَانِ فِي الْأَعْصَانِ قَدْ هَتَفَا²

ويقرب من المعنى السابق قول الشاعر من الكامل:

وَالنَّوْرُ يَبْسِمُ نَعْرَهُ طَرِباً وَدَمْعُ الْمَزْنِ وَآكِفٌ³

حيث شبه الشاعر في الاستعارة الأولى " الغيم باك" الغيم بإنسان وحذف المشبَّه به وأتى بشيء من لوازمه وهو البكاء، وجعل للنور ثغراً في الاستعارة الثانية، فالصورة مركبة والاستعارتين تقليديتين. وفي قوله " دمع المزن واكف" استعارة مكنية مصدرها أحد عناصر الطبيعة وهي تقليدية. ونختم الاستعارة بقول ابن التعاويذي من الكامل:

فِي لَيْلَةٍ أَدَكْتُ عُيُونَ نُجُومِهَا فَكَأَنَّهَا رُقْبَاؤُهُ وَوُشَاتُهُ

حَتَّى إِذَا ابْتَسَمَ الصَّبَاحُ وَدَوَّمَتْ مِنْ حَوْلِ غُرْبَانِ الظَّلَامِ بُرَاتُهُ

وَدَعَتْ بِحَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ فَخِلْتَهَا تَدْعُو لِحَيٍّ عَلَى الْفِرَاقِ دُعَاتُهُ

قَبَّلْتُ مَبْسِمَهُ بِدَمْعِي فَالْتَقَى عِنْدَ الْوَدَاعِ أَجَاغُهُ وَفُرَاتُهُ¹

موضع الشاهد في البيتين الأولين، ففي قوله " عيون نجومها" استعارة وعجز البيت فيه تشبيه، " وقوله ابتسم الصباح" استعارة مكنية فالصورة مركبة من استعارتين وتشبيه، ومصدرها جميعا الطبيعة، ولعل أسلوب التضاد في أكثر الأبيات أضفى على الأبيات قدراً من الحسن.

⁴ديوان الرضي، ج ١، ص ١٥٦. منزوحة: من نزلت البئر أي قل ماؤها.

¹ديوان ابن التعاويذي، ص ١٢٣

²المرجع السابق، ص ٢٩٢٠

³المرجع السابق، ص ٢٨٢٠

¹ديوان ابن التعاويذي، ص ٦٤. البُرة: مفردا بازي وهو الصقر .

النتائج

- ١/ أهمية دراسة التشبيه والاستعارة للبلاغي والناقد وأثر ذلك في فهم النصوص الشعرية وبيان مواطن الجمال فيها.
- ٢/ أكتار ابن التعاويذي من توظيف التشبيه والاستعارة في صوره البيانية.
- ٣/ إفادة ابن التعاويذي ممن سبقوه في هذا المجال مع الإضافة والتجديد في التشبيه والاستعارة وإخراجهما في ثوب قشيب.

أهم توصية

على الباحثين المتحمسين بالدراسة المتأنية في ديوان هذا الشاعر باستخراج الصور البلاغية الأخرى.

المصادر والمراجع

- ١- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق، محمد عبد المنعم خفاجي، ط، عام ١٩٥٠ م.
- ٢- خريدة القصر وجريرة العصر، أبو عبد الله محمد بن حامد المعروف بالعهد الأصبهاني، شرح وتحقيق محمد بحجة الأثري، قسم شعراء العراق مطبعة المجمع العلمي العراقي طبع عام ١٣٧٥ هـ .
- ٣- دلائل الإعجاز، عبد القاهر عبد الرحمن، تعليق، محمود محمد شاكر د.ت .
- ٤- ديوان سبط بن التعاويذي، عنى بنسخه د. مرجليوث، مطبعة المقتطف. مصر طبع عام ١٩٠٣ م
- ٥- ديوان الشريف الرضي، شرحه وعلق عليه وضبطه وقدم له، د. محمود مصطفى حلواني، ط١، ١٩٩٩ م، شركة دار الأرقم بن الأرقم بيروت- لبنان، جزأين
- ٦- سير إعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق، د. مجتبي هلال سرحان، ط٧، ١٩٩٠ م مؤسسة الرسالة
- ٧- شرح القصائد العشر، الإمام الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، ضبط وتصحيح عبد السلام الحوفي ط٢ ١٩٨٧ م المكتبة العلمية بيروت .
- ٨- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقد، الولي محمد ط١، د. ت المركز الثقافي العربي .
- ٩- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر أحمد عصور. د.ت دار المعارف القاهرة .
- ١٠- قاموس المصطلحات الأدبية واللغوية، د. أميل يعقوب ود. بسلام بركة د. مي شيخاني، ط عام ١٩٨٧ م، دار العلم بيروت
- ١١- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ط٦، عام ٢٠٠٨ م، دار صادر بيروت - لبنان، طبعة جديدة محققة.
- ١٢- نقد الشعر، أبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، طبع عام ١٩٨٧ م، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة
- ١٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن أبي بكر الشهير بابن خلكان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، ١٣٦٧ هـ.